الفهرس

الإدراك الحسّي 2
مقدّمة 2
الإشكاليّات 2
النظرية العقليّة: 2
نقد النظريّة العقليّة 3
النظريّة الغشطالتيّة 4
نقد النظريّة الغشطالتيّة 5
التوليفة 6

الإدراك الحسّي

مقدّمة

اهتمّ الفلاسفة القدماء بموضوع الإدراك، وقد ميّزوا بين الإحساس والإدراك الحسّيّ. فالإحساس مسألة تتناول معرفة العالم الخارجيّ، بينما الإدراك الحسّي فهو مُعطًى أكثر تعقيداً، إذ ينظّم الإحساسات ويفسّرها ويحوّلها إلى وعي. إنّه الحدّ الفاصل بين الإنسان والحيوان.

ويعتبر الإنسان كائن الأبعاد الثلاثة : الذاكرة التي تعينه على استعادة الماضي، الخيال الذي يساعده على التوجّه نحو المستقبل، والإدراك حيث يعي ما يحيط به. وقد عرّف لالاند الحسّ أنّه الحالة الإجماليّة والمباشرة الناتجة عن إثارة فيزيولوجيّة من شأنها أن تحدث تغييراً واعياً.

الإشكاليّات

ما هي طبيعة الإدراك الحسّيّ؟

هل يرتكز الإدراك على دور العقل؟

هل هو تأثير ما تتقبّله حواسّ الإنسان من العالم الخارجيّ؟

النظرية العقليّة:

يرى آلان أنّ الإدراك يبدأ بعمل الحواس، ولكن هذا الجزء من العملية لا أهمّية له، والعقل هو صاحب الدور الأساس فيها. فالإدراك هو عملية عقليّة معقّدة تفسّر الأشياء وتنظّمها وتحكم عليها. فنحن ندرك المكعّب حتّى لو لم نرَ منه إلّا تسعة من أضلعه الاثني عشر وثلاثة من سطوحه الستّة. كما أنّه يؤكّد على الوظيفة العقليّة للإدراك عندما يعطي مثل الأفق الذي نراه قريباً، ولكن ندرك بعقولنا أنّه قريب من خلال حجم الأشياء التي نراها فيه.

ويؤكّد ديكارت هذا الرأي، فالجسم المدرَك ليس مدرَكاً من خلال معطيات الحواسّ، لأنّ الإحساس المرافق للمادّة يتغيّر، وقد أعطى مثلاً الشمعة التي يتبدّل لونها وشكلها ورائحتها عندما تذوب، ولكنّها تبقى محافظة على مواصفات الشمع.

ومن أعمال العقل التحليل والتركيب والاستنتاج، فكما يقول كانط أنّ الإحساس لا ينقل لنا من أبعاد الصورة إلّا الطول والعرض، إلّا أنّنا ندرك من خلال حكم العقل البعد الثالث وهو العمق.

كما أنّ بركلي أعطى مثلاً أنّنا إذا رأينا الحمرة على وجه شخص، فإنّنا نستنتج أنّه في حالة خجل.

كذلك فإنّ عملية التعليم تبدأ من الأحرف المتفرّقة التي لا معنى لها، وصولاً إلى الكلمة فالجملة فالنصّ، وهنا يقع دور العقل لا الحواسّ في العمليّة التعلّميّة.

أمّا الأوهام البصريّة بحسب هذه النظريّة فهي نتيجة الأحكام المغلوطة التي يفسّرها العقل، فعندما نتجاوز خلال قراءتنا الأخطاء المطبعية، فإنّنا نقرأ من خلال ما نعرف وليس من خلال ما نرى.

نقد النظريّة العقليّة

واجهت النظريّة العقليّة انتقادات عديدة؛ منها :

1. لم يتمكّن التعقليّون من صياغة أفكار ناتجة عن فقدان التجربة الحسّية كالألوان والأبعاد.

2. عجز الفلاسفة التعقليّون عن تحديد العلاقة بين الإحساس وهو من طبيعة ماديّة، والإدراك وهو من طبيعة روحيّة، فكيف أحسّ ثمّ أدرك والعمليّة واحدة لا يمكن تجزئتها؟.

3. قصرت هذه النظريّة في شرح الإدراك عند الأطفال الذين لا يملكون عقلاً ناضجاً كالبالغين.

4. لم توضّح هذه النظرية تأثّر الإدراك بالعمر والخبرة والثقافة، كما أنّها لم تتطرّق إلى الأمور المستجدّة على الإنسان والتي لم يسبق أن مرّت على حواسّه.

النظريّة الغشطالتيّة

وجد العلماء صعوبة في ترجمة كلمة غشطالت إلى اللغات الأخرى، لذا أبقوا عليها كما هي في أصلها الألمانيّ، وهي بشكلٍ عام تعني " الشكل الكلّي"، أهمّ علماء هذه المدرسة : غيوم، كوفكا، ماكس، وكوهلر، وقد توصّل هؤلاء إلى مبادئ عدّة، أهمّها :

أ. مبدأ الإدراك عند علماء نفس الشكل أو الغشطالتيّين أنّ الشكل الكلّيّ عبارة عن وحدة منظّمة الأجزاء والعناصر، وهذه الوحدة لا تُدرَك إلّا من خلال عناصرها موحّدة. فرؤية الشيء تسبق عناصره.

وهكذا فإنّ الإدراك الحسّي لا يقوم على تركيب الشيء عقليّاً انطلاقاً من المحسوسات الجزئيّة، بل الشيء يدرَك مباشرة مشكّلاً بذاته. مثال شكل المستطيل يتميّز بخصائص لا نجدها في كلّ خطّ من خطوطه الأربعة.

ب. إنّ الأشياء المحيطة بنا لا تدرك بنفس الدرجة من الوضوح في نفس الوقت، فهناك أمور تبرز في مجال إدراكنا، بينما أمور أخرى تكون أقل بروزاً. فالشكل الأفضل يفرض نفسه، وهذه الأشكال الّتي تفرض نفسها تسمّى الصيغة، وهي تتكوّن من شكل وخلفيّة. مثلاً، إذا نظرنا إلى لوحة سوداء يتوسّطها دائرة صفراء، فإنّنا ندرك الشكل أي الدائرة الصفراء قبل الخلفيّة الأقلّ بروزاً أي اللوحة السوداء.

ج. وضع قوانين يمكن اختصارها بأنّ الشكل الذي يفرض نفسه هو الأفضل والأبسط والأكثر انتظاماً؛ من هذه القوانين :

1. قانون الشكل الأفضل : بحيث أنّنا ندرك الشيء الذي يكون شكله أوضح أسرع من الأشياء الأخرى المحيطة به، مثل إدراك اللون الأحمر يكون أسرع من غيره من الألوان.
2. قانون الاتّصال : نحن ندرك النقاط المتّصلة على شكل معيّن كالخطّ الأفقيّ مثلاً، أسرع من النقاط المبعثرة.
3. قانون الإغلاق : إنّ الأشياء غير المكتملة تميل إلى الاكتمال في إدراكنا الحسّيّ، كالدائرة غير المكتملة نميل إلى رؤيتها كاملة.

4. قانون الشكل الفارض نفسه : إنّ رؤية الشكل الكلّيّ تغلب رؤية العناصر، فمثل السهمان أدناه، فإنّنا نميل إلى رؤية السهم "أ" أطول من السهم "ب" على الرغم من أنّهما متساويان.

« ——————————— » « ——————————— »

"أ" "ب"

5. قانون المحاكاة : العدد المتشابه الأزواج يَسْهُل حفظه أكثر من غيره من الأعداد غير متشابهة الأرقام، مثال : 225599.

إضافة إلى أنّ الغشطالتيّون يؤكّدون بعكس التعقليّين أنّ الإدراك هو عملية تفكيكيّة تبدأ من الكلّ لتصل إلى الجزء، حتّى في العمليّة التعلّميّة التي تبدأ من العبارة، فالجملة، فالكلمة، وصولاً إلى الحرف. فالعبارات ذات المعنى ترسخ في عقول الأطفال إذا كان لها معنًى واضحاً.

أمّا الأوهام البصرية بالنسبة للنظريّة الغشطالتيّة فسببها يعود إلى عدم انتظام الشكلّ المدرَك، إذ أنّ الخطأ برأيهم سببه عدم وضوح الشكل وليس حكماً عقليّاً خاطئاً.

نقد النظريّة الغشطالتيّة

ككلّ النظريّات، تعرّضت النظرية الغشطالتيّة للنقد؛ ومن النقد الذي وُجّه إليها :

1. لم تميّز النظريّة الغشطالتيّة بين الإحساس والإدراك الحسّي، وأجازت استخدام المفهومين للدلالة نفسها.

2. أهملت هذه النظريّة الشخص المدرِك وركّزت على الموضوع المدرَك؛ فمثلاً عند وقوف الأم وابنتها أمام واجهة أحد المحلّات، الأم يلفت نظرها شكل الفستان، بينما الفتاة تنجذب إلى لونه، مع أنّ المدرَك واحد.

3. لم يهتمّ الغشطالتيّون بالجانب الإنسانيّ في عمليّة الإدراك، فلو افترضنا مرورنا أمام بناية شكلها ولونها مميّزان مقارنة مع أبنية متشابهة محيطة بها، ولكن إحدى هذه البنايات على شرفتها إنسان يحاول الانتحار، فإنّ إدراكنا سيتوجّه إلى هذا الإنسان وليس إلى البناية المميّزة بحكم الإنسانيّة.

التوليفة

إنّ النظريّات التي تطرّقت إلى موضوع الميول، جميعها ساهمت في كشف جوانب في فهم الإنسان، إلّا أنّها جميعها كانت قاصرة لأنّ كلّ واحدة منها تناولت جانباً إنسانيّاً واحداً تدافع عنه دون الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الأخرى. إلّا أنّ الإنسان كائن اجتماعيّ ثقافي، إضافة إلى تأثّره بغرائزه اللّاواعية، وبالتالي لا يمكننا تجاوز دور العقل، الغرائز، والمجتمع... في بلورة الميول الإنسانيّة التي ما زالت العلوم الإنسانيّة حتى اليوم عاجزة عن بلورتها بشكل نهائيّ.